

بعض المذاهب كما ترى في كنيسة ماري جرجس كرسى اهدت ليفصل بها الكهنة
والرؤساء ايديهم في خدمة الاسرار» (ص ١١٥)

وكان امام المذبح دريزين وهو بمثابة الايقونستاس في كنائس الروم وكان له مثله
ثلاثة ابواب يد أنه كان يختلف عنه بامور. قال الدويهي إمام المؤرخين الموارنة:
« اوجب آباؤنا الاطهار ان تكون ابواب الدرزين مفتوحة وجدرانها غير مسطومة بل
مصنوعة بثقوب على مثال شبكة حتى يتمكن الجميع من مشاهدة الاسرار. ولكنهم
امروا الشماسة ان يساوا الالستار في اوقات معاونة اجلاً للاسرار (ص ١٣٥)»

فكان اذا الايقونستاس عند الموارنة اشبه بشبك ليس بناء مصمتاً كما في كنائس
الروم. ولعلنا كان « كالمشربية » التي تفصل بين الرجال والنساء في كثير من كنائس لبنان
الآن أنه كان متقن الصنع. وقد شهدنا في كنيسة السيدة في حدوتون قطعة من هذا
الدريزين القديم. ولا علم لنا أبقي منه في بعض الكنائس ام لا. أما في عهد الدويهي
فكانت هذه الدرابين شائعة كما اثبت ذلك في منارة الاقداس (ص ١٢٨)
(ستأتي البقية)

مطالب في بحث المطالب

للقس الفاضل جرجس نثنس الحلبي الماروني

يعلم الجميع انه لم يبلغ كتاب من كتب المتأخرين في علم العربية ما بلغ اليه
هذا الكتاب « بحث المطالب » من تراجم الذكر وبعد الشهرة وكثرة تداول الايدي له
واشتغال الناس به على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وإجماعهم على اثاره وتنضيله على ما
سواه من الكتب الموضوعة في فني الصرف والنحو وتسايقهم الى طبعه ونشره مصدراً
باطراء مؤلفه الشهير الى غير ذلك مما حملنا على ان نغرد له هذه المطالب التابعة في
الكلام عليه مؤلفاً ومخطوطاً وطبعاً ومختصراً فنقول وبالله الاستعانة على الابانة

مطلب اول في الكتاب مؤلفاً

رحمة الله ورضوانه على نفس مؤلفه العالم العلامة المدقق والامام النهممة المحقق
السيد جرماتوس فرحات الحلبي الماروني الشهير فانه لا رأى « اقبال المستفيدين من

المسيحيين منصباً نحو معرفة القواعد العربية... لكن يدهم تقصر عن الوصول الى غايتها لاسباب... جذبتة » عند ذلك يد النيرة الاخوية جذب حنين الطيبة الابوية الى احالة الحال المعجم وازالة الامر الميهم (١) « فألف في سنة ١٧٠٥ كتاباً سماه « بحث الطالب » فجاء ضخماً جامعاً قواعد الصرف والنحو وشواردهما واتبعهُ في سنة ١٧٠٦ بكتاب حواشٍ عليه اتخفني... منه بعض الاصحاب بكر أسين محتويان على حواشٍ على القسم الاول من كتاب النحو ولا اعلم عنها غير انها من مخطوطات اوائل هذا العصر التاسع عشر

يبد ان المؤلف رحمه الله تعالى لما رأى صعوبة نسخ ذلك الكتاب الكبير وتصدّر تحصيل ما فيه من الطالب المهبة اختصره في اواخر عام ١٧٠٧ تهيلاً لرواى علم العربية وستى ايضاً هذا المختصر « بحث الطالب » وهو هو المتعارف بين الجمهور والمتداول من ايدي الناسخين والطلاب الى هذه الايام. أما البحث الكبير فاغثاله ايدي الضياع على ما اظن لعدم تداوله وهذا هو الباعث الاول الذي حملني على تطوير هذه النيزة لعل الباحثين يعثرون عليه فيتحنون به عالم العلم والادب. هذا ما امكن تحصيله عن الكتاب موثقاً ارددته مأخوذاً عن نسخة من المختصر يقول كاتبها انها « مختصرة من بحث كبير للمؤلف (٢) » وعن فهرست مؤلفات المؤلف والاثنتان « اي النسخة والفهرست » مخطوطتان في طوابع هذا القرن (٣)

مطلب ثانٍ في الكتاب منطوقاً

قال صاحب « جامع الروايات في اخبار جبريل فرحات » (١) ما محصلة: كان في عام

- (١) ففر من مقدمة المؤلف رحمه الله عليه
- (٢) هذه النسخة لرفيتي في المدرسة المتوري الجليل بطرس وجيه بن شعول في كبروان
- (٣) قد بحثنا في قائمة المخطوطات المصونة في أمهات مدن اوربياً لنا نجد سنداً لهذه الرواية فلم نتف على شيء سوى ان النسخة التي في خزنة باريس تدعو كتاب الطيب الذكر المخران جرمانوس فرحات « بحث الطالب وحث الطالب ». وهو اسم يختلف عن الاسم الدارج في اغلب النسخ المطبوعة « بحث الطالب في العربية » اللهم إلا ما ورد في مقدمة المعلم بطرس البستاني الذي وافق النسخة الباريية في تسمية الكتاب. على ان اختلاف الاسم لا يدل على اختلاف المضمون. ونظم حق العلم ان النسخة الباريية كاخواتها الشائمة متدنا (المشرق)
- (٤) لا اعلم عن هذا الكتاب ومؤلفه شيئاً لاتي لم احصل منه الا على جزء يسير

١٢١٠ ان بلغ بحث المطالب الى احد طلبة المسلمين فقله وغير اسم مؤلفه وشواهده وبض تركيبه واهداه الى احد اصحابه من علماء القسطنطينية فلما تصفحه هذا العالم وجده عند درج محكم التنضيد فاعجبه غاية الاعجاب . ثم قدم بعد حين الى طرابلس الشام لاسر يعلمه الله تعالى فأطلعه اجد التصاري على البحث واعلمه بان مؤلفه راهب يسمى جبريل فرحات ويقيم في دير ماري اليسع النبي قرب قرية بشرأي فاندهل ذلك العالم وعلق يترقب جبريل الى ان اثر عليه فسأله : هل انت جبريل فرحات . فقال : اجل . فباحثه العالم طويلاً في العلوم ثم سأله : هل انت مؤلف البحث كما قال لي احد جماعتكم . فقال : بلى . فطلب العالم عندئذ نسخة منه فاستأني له بواحدة من خط يده المباركة فاشي عليه ثناء طيباً

واعلم ان المعلم بطرس البستاني ليس هو اول من ندد بهذا الكتاب (١) فقد سبقه الى ذلك احد الملكيين الذين عاشوا في اوائل هذا القرن . قال « ان اسقته دعاء الى التشديد ففعل مكرهاً . . . دون ان يذكر اسمه تواضعاً . . . » اما تشديده فعلى اغلاط النسخة التي وقعت لديه ليس غير ونظن انها مكتوبة في اواسط القرن الماضي (٢) . هذا ما عرفناه عن الكتاب مخطوطاً فبسطناه تلخيصاً

طلب ثالث في الكتاب مطبوعاً

ان هذا الكتاب الجليل الفائدة كما تداولته ايدي الناسخين نحواً من قرن ونصف قرن هكذا تداولته ايدي الشارحين والطابعين مراراً فأطراؤه ومؤلفه معاً . قال المعلم بطرس البستاني في مقدمته عليه اذنه « اسهل ما ألف من كتب الصرف والنحو مأخذاً واقربها تناولاً واعظمها نفعا لكونه من احسن ترتيباً » . وقال في مؤلفه ما حرفه : « وانا اعترف بخضاه عاماً وعملاً واشهد له أنه منتقع النظر بين الملة المسيحية في علم العربية »

(١) ليست في الغالب اصلاحات المعلم بطرس البستاني تشديداً وهو القائل في مقدمته : « واقول الي لم اتعقب عثاره على سبيل التشديد كآثره قد اخطأ واصبت بل تنبها للمطالع ان يقتص في احد القولين فيقتضي لاحدهما واملأه يقضي علي فاستفيد لانه لا يستحيل ان اكون قد ركبت شططاً . . . واترأباني قاصر من البلوغ الى بعض طبقاته . . . فان كنت اصبت ففي الزوايا خبايا وان كنت قد اخطأت فلست لي الخطأ » (المشرق)

(٢) ومذا دليل على ان النسخ التي نقات بهد زمن المؤلف بقليل نشوت بالاغلاط (المشرق)

وقال المعلم سعيد افندي الشرتوني في الكتاب انه « باكرة التعانيف النصرانية »
وانه « يحتوي لباب كتب المتقدمين وينطوي على خلاصة تأليف المتأخرين ». وقال في
مؤلفه انه « مرجع الحفصل الصوفي وخطيب الذير النحوي » الى غير ذلك من النصوص
والاوصاف التي اطراً بها الصابون الكتاب ومؤلفه الشهير . وهالك تعدد طبعاته
المختلفة منذ ابرازه الى عالم المطبوعات

نسخة مالمطة الامريكية هي اول مطبعة طبعت هذا الكتاب في سنة ١٨٣٦
وصدرته بنقوش هيروغليفية (المشرق ٣: ٥٠٤) وختمته باعراب امثله دون ان تحدث
فيه شيئاً بل تركته كما وصل اليها من ايدي النساخ (١). ثم ان مطبعة الحكومة اللبنانية
طبعت على مثال الطبعة السابقة الذكر (٢). ثم ان المطبعة الامريكية البيروتية طبعت أيضاً
في سنة ١٨٤٥ بعد ان اضاف اليه المعلم بطرس البستاني (المشرق ٣: ٥٠٦) حواشي
وتعليق ضافية الذبول سرت له ان ينسب الكتاب لنفسه (٣) فشاء « مصباح الطالب
في بحث الطالب ». غير انه افوط بتنديده بالكتاب ومؤلفه رحمه الله تعالى . فن هذا
تنديده 'بجد الخال (ص ٢٩٣ من طبعته) اذ قال : « انهم غير مانوس » مع ان
زيادة النون في « انهم » من النساخ بلا شك . ومن ذلك تنديده بتعريف الرصول
(ص ١٤٣) اذ قال : « والصحيح جزءا بالنصب » مع ان اسقاط الالف من جزء
هو من الناسخين ايضاً . الى غير ذلك من الاغلاط النسخية التي لا يتصور عاقل انها تقع
لرجل علامة كبير كالزلف شهد له الندد « بانة منقطع النظير . . . في علم العربية »
فلو راعى ما احده النساخ في الكتب المخطوطة من حذف وزيادة كما تعرض لأمثال
تلك الاغلاط السخيفة . قتل تبارك من استأثر بالكمال وحده

ثم طبعته المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين النضلاء في سنة ١٨٦٥ على مثال

(١) بل اضاف شرتوني طبعه في مالمطة (ونظفه فارس الشدياق) نحو خمسين ملاحظة على
الاصل في ذيل الكتاب (المشرق)

(٢) عنت هذه الطبعة سنة ١٨٢٦ . وقيل في خاتمة « ثم طبع هذا المؤلف على النسخة المطولة
بنقل المؤلف خلا الحاشية في الاعراب ». ومن قابل هذه الطبعة بطبعة المعلم بطرس البستاني لا يماره
ريب في ان صاحبها جرى على طبعة المعلم بطرس في اكثر المواضع . ومن ثم فقوله على النسخة
المطولة بنقل المؤلف دعوى بلا دليل (المشرق) (٣) في هذا القول غلو لأن المعلم بطرس
البستاني يورث هذا الاسم لم ينو نسبة الكتاب الى نفسه (المشرق)

الطبعين السالطين دون تغيير شي - منه . ثم طبعته في سنة ١٨٨٣ مصححاً بقلم المعلم
الفاضل سعيد افندي الشرتوني واعادت طبعه ست مرآت متالية (المشرق ٣: ٨٠٧)
وهنا مقام نشي فيه على المصحح اللغوي لاعتدال لهجته في اصلاح اغلاط الناسخين
وتعبيه عنار من اراد ان يحطه عن منصة الامامة . ثم طبعته في هذه الايام الطبعة
اللبانية عن نسخة بخط المؤلف وذلك باهتمام جناب البارخ خليل افندي باخوس (١)
صاحب امتياز جريدة الروضة . والطبعة المذكورة تحت مناظرة الاب الفاضل الحوري
نعمة الله باخوس الذي آتى على كتابي الصوف بعض حواشيسها . و جناب الاستاذ
المأمة عبد الله افندي البستاني الذي زاد على مطالب كتاب النجوى فوائد (٢) . فهدي
طابعي الكتاب وشارحيه شكراً رثاء ينشر طبعها على آخر الدهر

(١) سرنا كون جناب خليل افندي باخوس عمر على نسخة بخط المؤلف . ولكن كنا نحب
ان يبين ذلك بادلة قاطعة لان ما جاء في مقدمة هذه الطبعة الجديدة لا يقننا البتة وهذا قوله
بالحرف : « اما نسبة هذه النسخة الى خط يد المؤلف نفسه رحمه الله فهي قائمة بجملة دامت تصدع
بالمق وتثبت الدعوى بانها رقم بنانه الطاهرة هي خلؤها عما كان المتقدون يرونه من الغافر في
غيرها من النسخ المطبوعة . فلنا ان هذا ليس « بجملة دامت » لانه امكن احد اسلافه ان يصلح هذه
الاعلاط . ثم اننا قابلنا بين الطبعة الجديدة وبين نسخ خطية قديمة هي في مكتبتنا الشرقية وعند
غيرنا من الادباء . يشهد على احداها بعض الاساقفة انا منسوخة عن النسخة الاصلية فزاد ارتباننا في
قول الكاتب لاننا وجدنا في هذه النسخ المطبوعة عدّة فوائد لا اغلاط لم نجدها في الطبعة الجديدة .
كتاب اعمال الخالصة مثل جاودته فوجدته اي قلبه في الجود وكتفسير . ما في حروف الهجاء وغير
ذلك فكيف ننفي بصحة هذه وفاد تلك ؟ ولعل بعض هذه النسخ مع ما طرأ عليها من اغلاط
النسخ هي الاصلية دون النسخة التي أخذت منها الطبعة الجديدة . وزد على ذلك ان المؤلف عاش
دهراً طويلاً من بعد تأليفه فامكنه ان يكتب منه نسخاً عديدة زاد في بعضها ونقص وحسن ونقص
فان لا تكون هذه النسخ المختلفة جميعها له الا ان بعضها دون بعض في الحسن والاصلاح

وعلى كل حال انما نسئ ان يبطل مجددو طبع هذا الكتاب الجليل جميعنا بادلة اقوى من
الدليل السابق مثلاً بان يرفونا تاريخ الكتاب او يقابلوا بين خط تصحيمهم وخطوط اخرى كتبت يد
المحرر المأمة جبرائيل فرحات وفي مكتبتنا الشرقية كتاب بخط يده الطاهرة يمكن الاستدلال به
على اصل النسخة المرقومة . ويا جذا لو اتفقنا اصحاب هذه الطبعة بمفحة . من الاصل المطبوع
مأخوذة بالفتوتوغراف كما هو دأب العلماء المحققين (المشرق)

(٢) وناخذ على هذه الطبعة الجديدة بعض المآخذ : (اولها) اختلاف اصحابها في طريقة
الطبع فان الجزء الاول طبع فيه المتن بمرف كبير والشرح في ذيله بمرف اصغر بخلاف الجزء الثاني
فان حرفه كله صغير والشرح مزوجة بالمتن فلا يكاد المطالع يميز بين نص المؤلف وحواشيه

مطلب رابع في الكتاب مختصراً

لقد صادف هذا الكتاب - كما رأيت - حظاً واثقاً في اطواره السابق الايمان. اليها ولم يعدم ذلك في هذا طوره الرابع. فانصرفت همم بعض العلماء الى تلخيصه واختصاره مع انه مختصر كما علمت. وذلك بلا ريب دليل على " قرب موعده وعذرة مورده " كما قال الاستاذ اللغوي سعيد افندي الشرتوني. فاختره بادي ذي بده البطريرك مكبيوس مظلوم اذ كان بعد مطراً ودياً. " الاصول الصريفية والقواعد النحوية " وطبعه في رومية العظمى سنة ١٨٣٠ لافادة تلاميذ مدرسة عين تراز الملكية الاكليريكية (١) ثم لخصته مطبعة مالطة الامركية تحت عنوان « الاجوبة الجلية في الاصول النحوية » وطبعته في سنة ١٨٤١ (المشرق ٣: ٥٠٤) ثم اختصره المعلم بطرس البستاني تحت عنوان « مفتاح الصباح » وطبعه في المطبعة الامركية البيروتية سنة ١٨٦٢ (المشرق ٣: ٥٠٦) وجعله كصباح بيتدي به الطالب الى بحث الطالب (٢)

الناجح. (ثانياً) ان هذه الطبعة دون الطبقات السابقة من حيث اتقان الطبع وجودة الورق لا يساوي الجزء الثاني. (ثالثاً) ان تتولى طبعتها مع كثرة ما استفادوا من طبعتي المعلمين الفاضلين بطرس البستاني والشيخ سعيد افندي الشرتوني اهلوا ان يذكروا اسمها كأنهم لم يعلموا بوجودها. (رابعاً) ان في هذه الطبعة اغلاطاً طيبة عديدة لم يبينه اليها في آخر الكتاب. كما ترى في الجزء الاول بين الصفحتين ١٠٢ و ١٠٣ في المواشي وكتوبه مرتين (ص ١١١) : « ضفدع » بدل « من » ضفدع ». وفي الجزء الثاني (ص ١١٢) : « تكون الثمالة » والصواب « تكون الثمالة » وفيه (ص ١٠٨) : « ولا ورماً مساً قضي الله واقياً » والصواب « ورز » وفيه (ص ١١٠) : « الى حماتنا » والصواب « حماتنا ». وكذلك ككناً احيانا لو اشار الناشر في القسم الاول الى ما بينه حضرة الفاضل النوري الاب حنا خليل مرثا في المشرق (٢: ١٧٧) بخصوص أفعال جمع فعمل فلا يقول (ص ٢٦١) « ان هذا الجمع غير مقيس في مذهب الجمهور » وقد اثبت حضرة قيس هذا الجمع بثلاثمائة وثلاثين مثلاً. (خامساً) ان الناشر لم يماش بعض اشكال غزلية في كتاب يتداوله صغار المدارس (المشرق)

(١) راجبنا كتاب « الاصول الصريفية والقواعد النحوية » للسيد النكر مكبيوس مظلوم فرأيناه كتاباً مستقلاً بذاته لا تلخيصاً من بحث الطالب وانما استفاد فقط. ولعله الجليل من البحث كما اشار الى ذلك في مقدمته (المشرق)

(٢) لم يُشعر المعلم بطرس البستاني في « مفتاح الصباح » انه اختصر كتاب بحث الطالب وكليلها بطريقة مختلفة قائمة بذاتها (المشرق)

خاتمة

بعد تسطير ما تقدم خطر على البال ما اكَّدهُ لي بعض الاصحاب من وهم عمهم
وساد على عقول الكثيرين وهو ان البحث الكبير مزقة الاستاذ الكبير الشيخ ساليان
الحلي الشهير لما عرضه عليه تلميذه المؤلف حرداً منه وبفضاً. فماد اذ ذلك الى تأليف
كتابه المختصر المتعارف اليرم بين ايدي الجمهور ولكن هذا القول منقوض من وجوه
اخذها اولاً ما بطناء في المطلب الاول ملخصاً عن اصدق الرواة الذين يركن اليهم
كما رأيت. ثانياً ان المؤلف ألف الكتاب في لبنان في حين انه لم يكن محتاجاً الى
ان يعرضه على استاذه المذكور. وهب انه عرضه عليه فلا يتأتى لعقل عاقل ان يتصور ان
مؤلفه المشار اليه لا يبقي عنده نسخة منه. ثالثاً لو طالعت نتف كتاب جامع
الروايات الآنف الذكر لتضيت عجباً بما كان يبيده الاستاذ المذكور من الاعجاب
البالغ من تلميذه المؤلف حتى انه كان يبكي فرحاً كلما قرأ شيئاً من مؤلفاته. ولا
يتصور ان من كانت هذه صفته يقدم على ذلك الفعل الشنيع. والذي يظهر لي ان هذا
الجبر محرف عما روياه في المطلب الثاني كما يظهر بادني تأمل
فهذا ما كان من امر هذا الكتاب النادر المثال مؤلفاً ومخطوطاً ومطبوعاً ومختصراً
فعلى مؤلفه الشهير رحمه الله ورضوانه ما تلا الطالب منه حرفاً او حرفاً

الايقاع في الشعر العربي

للأب خليل آده البسوي (تابع لما سبق)

٤

من جملة الايقاعات التي اوردها صفي الدين البغدادي في رسالته الشريفة دور
غنائي يسمى الرمل هذه احدى صورهِ :

فَمِلاَتَنْ فَمِلاَتَنْ ثُمَّ يُباد (١)

٢٠٢٠١٠١٠ ٢٠٢٠١٠١٠

(١) كما اثرتنا في أوّل مقالنا الى الزمن بخطّ مستقيم والى النقرات. بنقط ولكننا حباً بالاختصار
امانا هذه الخطوط وكنتينا عن الازمنة ومقاديرها بالاطداد. وكذلك كان يجب ايضاً في آخر كل
دور رسم أوّل نقرة من الدور التالي لأنّ تحديد كل زمن يقتضي تقرّبين. فضرربنا عن رسمها صفناً
واعترابنا. فنذرة